الشفقة والرحمة في القرآن الكريم
بمنظور "رسائل النور"

الدكتور عبد القادر محمد احمدΨ

مقدمة

لعل التخصص الذي قدره الله تعالى لي في اللغة العربية والتفسير من بعد، علاوة على الرغبة في البحث العلمي كان الدافع القوى لمحاولة المساهمة في كل لقاء علمي، لاسيما إن كان محور ذلك اللقاء يدور حول القرآن الكريم وتفسيره. ومن هذا المنطلق تحمست لكتابة بحث في هذا المؤتمر الذي يقام بمشيئة الله تحت شعار "النظرة القرآنية للإنسان من خلال رسائل النور". ولكن كانت المشكلة هي كيفية الحصول على "مجموعة رسائل النور". فظلت أسال عنها حتى اهتديت إلى اخوة أتراك بالسودان أمدوني مشكورين بعدد منها. وعلمت بعد ذلك أن كل مجموعة رسائل النور موجودة بالدار السودانية للكتب – أضخم مكتبة بالخرطوم – فخففت إليها، ووجدت فيها تقريباً كل رسائل النور بالإضافة إلى عدد من الكتيبات الصغيرة التي ألفها بديع الزمان النورسي .

بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أود أن أتقدم بجزيل الشكر للجنة المنظمة للمؤتمر وللأخ البروفسير فارس قايا الذي ظل يراسلني ويحثني على اقتناء رسائل النور والمشاركة في المؤتمر .

لقد وقع اختياري على محور "الشفقة والرحمة في القرآن الكريم بمنظور رسائل النور"، فحاولت جمع جل إن لم يكن كل ما كتبه النورسي حول هذا الموضوع. لذا يأتي هذا البحث معتمداً في مصادره اعتماداً كلياً على رسائل النور مع بعض المقارنات مع كتب التفسير مثل، القرطبي، ابن كثير وسيد قطب عند التعرض لتفسير بعض الآيات.

إن موضوع "الشفقة والرحمة في القران الكريم بمنظور "رسائل النور" هو غيض من فيض وقطرة من بحر العلوم التي تناولها النورسي في مؤلفاته. وأتوقع أن استمع واستفيد

Ψ ولد في الخرطوم – السودان سنة 1957. نال شهادة الدكتوراه من جامعة أدنبرة. وحاليا رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب لجامعة الخرطوم .

من البحوث التي ستعالج جوانب أخرى عديدة سيتطرق إليهـا العلمـاء والمفكـرون الأفاضل المشاركون في هذا المؤتمر.

نبذة مختصرة عن حياة النورسي :-

عاش سعيد النورسي في الفترة من 1876 – 1960م . انكب منذ الصـغر علـى دراسة العلوم الإسلامية والنحو والصرف ، وأظهر فيها ذكاء وقوة ذاكرة ، كما درس كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والفلسفة والتاريخ حتى تعمـق فيهـا إلى درجة التأليف في بعضها ، لذا لقب بـ "بديع الزمان " اعترافاً بفضله وعلمه. كـذلك اهتم بقضايا الأمة الإسلامية وقاسى في سبيل ذلك أنواعـا مـن الجهـاد والتضـحية والسجن.

منهج التفسير في رسائل النور :-

جمع النورسي رسائل النور تحت عنوان " كليات رسائل النور " التي تضـم أربـع مجموعات أساسية هي : " الكلمات – المكتوبات – اللمعات – الشعاعات". حقيقة لقد لفت نظري وشد انتباهي اختيار المؤلف لهذه التعابير العميقة والدقيقـة" الكلمـات، المكتوبات ، اللمعات ، الشعاعات ، فهي تعابير أدبية ترمى لمعاني كبيرة .

يمكن تقسيم المواضع التي عرض فيها النورسي لتفسير القران الكريم إلى قسمين :

الأول :- المواضع التي تشتمل على تفسير خالص، رمى فيها النورسي إلى تفسير آية أو جملة آيات أو سورة ، ولم يخالط كلامه في التفسير في هذه المواضع اية موضـوعات أخرى ، وهذه المواضع هي: كتاب إشارات الإعجاز ، وتفسير سورة الفاتحة .

الثاني : المواضع التي تشتمل على التفسير وغيره. وقد يكون هدفـه الأول في هـذه المواضع البحث في التفسير ، إلا أنه يستطرد بذكر أمور أخرى تجعل التفسير جزء منها، وقد يكون التفسير في هذه المواضع عارضاً بان تذكر آية فيتم توضيحها، أو أن يستشهد بمعنى الآية على فكرة. [1]

إن الخواص المذكورة لرسائل النور تنبع من كونها تقسيماً حقيقياً ومعنوياً للقـرآن الكريم وبشكل يناسب عقلية العصر وإدراكه.[2]

يبدأ موضوع البحث "الشفقة والرحمة في القرآن الكريم بمنظور رسائل النور" بتعريف لغوى لكلمتي " شفقة " و "رحمة " .

المعنى اللغوي لكلمة "شفقة :

جاء في لسان العرب لابن منظور عن المعنى اللغوي لكلمة شفقة :- الشفق والشفقة: اسم من الإشفاق. والشفق : الخيفة . شفق شفقاً ، فهو شفيقٌ ، والجمع شفقون .قال الشاعر إسحاق بن خلف ، وقيل هو لابن المعلى :-

تهوى حياتي ، وأهوى موتها شفقاً

والموت أكرم نـزال على الحرمِ

وأشفقت عليه وأنا مشفق وشفيق وشفيق ، وإذا قلت : أشفقت منه فإنما تعنى حذرته، ولا يقال شفقت .

قال ابن دريد : شفقت وأشفقت بمعنى ، وأنكره أهل اللغة .

الليث : الشفق : الخوف . تقول أنا مشفق عليك أي أخاف.[3]

المعنى اللغوي لكلمة "رحمة " :

أورد ابن منظور:- الرحمة : الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه. وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا.. والرحمة المغفرة، وقوله تعالى في وصف القران {**هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**} [سورة الأعراف : 203]. أي فصلناه هادياً وذا رحمة، وقوله تعالى: {**وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ...**} [سورة التوبة: 61]، أي هو رحمة لأنه كان سبب إيمانهم. رحمه رحماً ورُحماً ورَحمة ورحمة، حكى الأخيرة عن سيبويه ، ومرحمة. قال الله عز وجل { **ثُمَّ كَانَ مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**} [سورة البلد: 17] . أي أوصى بعضهم بعضاً برحمة الضعيف والتعطف عليه. وترحمت عليه أي قلت رحمة الله عليه. وقوله تعالى: {**...إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ**} [سورة الأعراف: 56]، فإنما ذكر على النسب وكأنه اكتفى بذكر الرحمة عن الهاء ، وقيل إنما ذلك لأنه تأنيث غير حقيقي، الاسم الرحمى.[4]

قال الأزهري: التاء في قوله "**إنّ رحمت**" أصلها هاء. وإن كتبت تاء. الأزهري: قال عكرمة في قوله: {**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا...**} [سورة الإسراء: 28]، أي رزْق. وقوله تعالى {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**} [سورة الأنبياء: 107] ، أي عطفاً وصنعاً، وقوله تعالى: {**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ...**}[يونس:21] أي حياً وخصباً بعد مجاعة، وأراد بالناس الكافرين.

الرّحمن: إسم من أسماء الله عز وجلّ. الأزهري: ولا يجوز أن يقال رحمن إلا لله عز وجلّ. فالرّحمن الذي وسعت رحمته كل شئ ، فلا يجوز أن يقال رحمن لغير الله ، وحكى الأزهري عن أبي العباس في قوله {**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**} [الفاتحة: 2] جمع بينهما لأن

الرحمن عِبْرَاني والرحيم عَرَبي. قال إبن عبّاس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر، فالرحمن الرقيق والرّحيم العاطف على خلقه بالرِّزق. [5]

والرُّحْمُ، بالضّم: الرّحمة. وما أقربُ رُحم فلان إذا كان ذا مَرْحَمةَ وبرٍّ أي ما أَرْحَمه وأبرّه. وفي التنـــزيل {**فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا منْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًـــا...**} [الكهـف: 81] ، وقرئت رحماً، الأزهري يقول: أَبَرٌّ بالوالدَين من القتيل الذي قتله الخَضِر، وكان الأبوان مُسلمين والإبن كافراً فولد لهما بعدٌ بنت فولدت نبيّاً، وأنشد الليث:–

أحْنَىَ وأَرْحَمُ من أُمٍّ بواحدها
رُحْماً، وأشْجَعُ من ذي لَبْدَة ضاري

وأمٌّ رُحْمٍ وأمُّ الرّحْم : مَكَّةً. وفي حديث مكة: هي أمُّ رُحْـــمٍ أي أصـــل الرّحمـــة. والمرْحُومة: من أسماء مدينة سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم، يذهبون بـــذلك إلى مؤمني أهلها. وسمى الله الغيث رَحْمةً لأنه برحمته ينـــزل من السّماء. وقوله تعالى حكاية عن ذي القرْنين: { **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ منْ رَبِّي...** } [الكهـف: 98]. أراد هذا التمكين الذي آتاني الله حتّ أحكمتُ السّد رحمة من ربي. [6]

رحمة الله بجميع مخلوقاته :–

وقف النورسي طويلاً عند البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم " التي تحوى رحمـــة الله، وذكر انه استشف منها أشياء كثيرة ، يقـــول في ذلك: (لقد ظهر عن ُبعـــد لعقلـــي الجامد نور "ساطع" اشرق من أفق رحمة الله في البسملة. فأردت تســـجيله في صـــورة ملاحظات ومذكرات خاصة بي ، وقمت بمحاولة اقتناص ذلك النور البـــاهر بإحاطتـــه بسور من أسراره البليغة نحو ثلاثين سراً، كي يسهل حصره ويتيسر تدوينه، إلا أنني مع الأسف لم أوفق تماماً الآن في مسعاي ، فانحسرت الأسرار في ستة فقط). [7]

ومن المعلوم أن البسملة قد افتتحت بها كل سور القران – عدا براءة ، وكـــررت في سورة النمل: {**قَالَتْ يَاأَيُّهَا المَلا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كتَابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ منْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بسْـــمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ**} [النمل: 29،30]. ويقف النورسي عند السر الاول في البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم "، ومنها إلى أنه وجد فيها ثلاث علامات نيرة للربوبية على ســـيماء الكائنات، وعلى قسمات وجه الأرض ، وعلى ملامح وجه الإنسان .

فالعلامة الأولي هي علامة الألوهية ، تلك العلامة الكبرى ، التي يتوجه "بســـم الله " إليها ويدل عليها . والعلامة الثانية هي علامة الرحمانية ، الزاهرة من التشابه والتناســـب والانسجام واللطف والرحمة السارى في تربية النباتات والحيوانات، بحيث يتوجه "بســـم الله الرحمن " إليها ويدل عليها. واخيراً العلامة الثالثة وهى علامة الرحيمية، تلك العلامة

السامية، الظاهرة من لطائف الرأفة الإلهية وأشعتها رحمتها المنطبعة علي سيماء الماهيـــة الجامعة للإنسان، بحيث يتوجه اسم "الرحيم" الذي في "بسم الله الرحمن الرحيم" إليهـــا ويدل عليها. [8]

لقد تحدث النورسي عن الرحمانية والرحيمية في كتابه الشعاعات، الجـــزء الرابـــع، عندما أورد قوله تعالى { **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مدَادًا لكَلمَات رَبِّي لَنَفدَ الْبَحْرُ قَبْـــلَ أَنْ تَنفَدَ كَلمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جئْنَا بمثْله مَدَدًا** } [الكهـف: 109] . وأشار إلى ان ماهية الإلهـــام وحمكته ونتيجته تتركب من أربعة أنوار. النوران الأول والثـــاني يتعلقـــان بالرحمانيـــة والرحيمية. يقول في ذلك :-

النور الاول : أنه مثلما يتودد الله سبحانه إلى مخلوقاته عن طريق أفعاله فيهم الـــذى يعْرَف (بالتودد الإلهي) فإن من مقتضيات الودوديـــة والرحمانيـــة (أى كونـــه ودوداً ورحمان) أن يتحبب إليهم ويتودد قولاً وحضوراً وصحبة ايضاً .

النور الثاني : أنه مثلما يستجيب سبحانه دعاء عباده بأفعاله. فإن من شأن الرحيمية إجابته لهمم قولاً من وراء الحجب. [9]

ويستطرد النورسي عند تناوله للسر الثالث وهو الرحمة الإلهية ،بل انه يكرر كلمـــة "الرحمة" عند بداية كل جملة ليؤكد على أهميتها. ولنجتزئ هنا بعضاً مما قـــال: "انـــه بديهي، بل مشاهد أن الرحمة الإلهية هي التي أبهجت الكائنات التي لا يحدها حدود ..

وأن الرحمة نفسها هي التي أنارت هذه الموجودات المغشية بالظلمات

وأن الرحمة ايضاً هي التي ربت في أحضانها هذه المخلوقات المتقلبة في حاجـــاتٍ لا حد لها ..

وأن الرحمة ايضاً هي التي وجهت الكائنات من كل صوب وحدب وســـاقتها نحـــو الإنسان وسخرتها له ، بل جعلتها تتطلع إلى معاونته وتسعى لإمداده، كما تتوجه الجزاء الشجرة إلى ثمرتها.

وأن الرحمة ايضاً هي التي عمرت هذا الفضاء الواسع وزينت هذا العالم الخالى. [10]

وأن الرحمة نفسها هي التي جعلت هذا الإنسان الفانى مرشـــحاً للخلـــود والبقـــاء، وأهلته ليلقى خطاب رب العاملين ومنحته فضل ولايته سبحانه .

وفى السر السادس والأخير يؤكد النورس أن رحمة الله هي أعظم وســـيلة وأرجـــى شفيع. [11]

بعد أن أفاض النورسي في الحديث عن رحمة الله تعالى على جميع مخلوقاته، وقف ايضاً عند نقطة هامة وهى وجود "جهنم" قاصداً إزالة بعض الشبهات التي قد يثيرها الـــبعض زعماً أن وجود جهنم ينافى الرحمة. وأورد ذلك في نكتتين في كتابه "الشعاعات". يقول

في النكتة الأولى أن التفكير في جهنم والخوف منها لا يزيل لذائذ ثمرات الإيمان المذكورة ولا يفوتها ، لان الرحمة الربانية الواسعة تهتف بذلك الخائف" "تعالى إليّ فدونك بـاب التوبة ادخل منه "فإن وجود جهنم ليس للتخويف، بل ليعرفك لذائذ الجنة معرفة كاملة، وليذيقك إياها تذوقاً كاملاً، وليأخذ لك ولمخلوقات غير محدودة الثأر والانتقام ممن انتهك حقوق الجميع واعتدى عليها وليفرحهم جميعاً بهذا ويدخل السرور إليهم. ويمضى النورسي للنكتة الثانية في هذا الصدد مؤكداً ان وجود جهنم لا ينافى الرحمة والعدالة. يقول في ذلك: "إن وجود جهنم وعذابها الشديد لا ينافى قطعاً الرحمة غير المحدودة، ولا العدالة الحقيقية، ولا الحكمة الموزونة التي لا إسراف فيها، بل إن الرحمة والعدالة والحكمة تتطلب وجود جهنم وتقتضيه، لان قتل حيوان افترس مائة من الحيوانات أو إنزال عقاب بظالم هتك حرمات ألف من الأبرياء ، هو رحمة بآلاف الأضعاف للمظلومين من خلال العدالة. وإن إعفاء ذلك الظالم من العقاب أو التجاوز عنه، وترك ذلك الحيوان الوحشي طليقاً، فيه ظلم شنيع وعدم رحمة لمئات المساكين بمئات الأضعاف إزاء رحمة في غير موضعها.[12]

كذلك نجد أن النورسي أشار في كتابه "المثنوى العربى النورى" [13] إلى ان الإسلامية رحمة عامة تشمل حتى الكفار. يقول في ذلك " اعلم أن الإسلامية رحمة عامة، حتى أن الكفار سعادة حياتهم الدنيوية وعدم انقلاب لذائذهم إلى الآلام الأليمة سببها الإسلامية!.. إذ الإسلامية قلبت الجحود والكفر المطلق، والإنكار المحض المتضمنين لليأس الأليم ، والألم الشديد إلى الشك والتردد. فالكافر بسبب تولد احتمال الحياة الأبدية في ذهنه بصيحة القران، يستريح من الألم المنغص، وبعدم اليقين يستريح من الكلفة اللازمة للديانة. فهو كالنعامة (ابل الطير) إذا قيل له طر، يقول أنا ابل.. إذا قيل له.. احمل الحمل، يقول أنا طير! فهذه الدسيسة الشيطانية هي التي صيرت الكافر والفاسق مسعودين ظاهراً في الحياة الدنيوية بالنسبة إلى الكافر المطلق والمؤمن الخالص.[14]

الرسول صلى الله عليه وسلم الرحمة :-

بعد أن أكد النورسي أن رحمة الله هي أعظم وسيلة ، أردف أن أسطع مثال للرحمة بين بنى البشر وافضل من يمثلها وأبلغ لسان ناطق بها وأكرم داعٍ إليها، هو الذى سمى في القران الكريم (... **رحمة للعالمين**) [سورة الأنبياء: 107] وهو رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم، فالطريق الأمثل لبلوغ تلك الخزينة الأبدية هو اتباع سنته المطهرة. ويثبت النورسي أن الوسيلة للوصول للرسول صلى الله عليه وسلم هي الصلاة عليه. والصلاة

تعنى الرحمة، فالصلاة عليه دعاء بالرحمة لتلك الرحمة المجسمة الحســية، وهــم وســيلة للوصول إلى من هو رحمة للعالمين.[15]

رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أمته :-

أفرد النورسي في كتابه اللمعات حديثاً مفصلاً عن رحمة الرسول صــلى الله عليــه وسلم ورأفته على أمته وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :- {**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُــولٌ مِــنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُــلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**} [التوبــة: 128، 129] . لقد قسم النورسي شرحه لهاتين الآيتين الكريمتين إلى نكتتين .

النكتة الأولى: "وهو تعبر عن كمال رأفة الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وغاية رحمته على أمته. نعم لقد وردت روايات صحيحة تبين مدى رأفته الكاملة وشفقته التامة على أمته بأنه صلى الله يدعو يوم الحشر الأعظم بــ (أمتي أمتي)[16] في الوقــت الــذي يدعو فيه كل أحد، بل حتى الأنبياء عليهم السلام بــ (نفسي نفسي) من هول ذلــك اليوم ورهبته. فكما تبين هذه الروايات عظيم شفقته على أمته، فقد سمعت والدته منــه عند ولادته انه يناجى: " أمتي أمتي " ويمضى النورسي مؤكداً اعظم رأفته علــى أمتــه بإظهار حاجته التي لا تحد إلى صلوات أمته عليه .[17]

بعد ذلك يقف النورسي عند النكتة الثانية المستخلصة من الآية السالفة الــذكر (... **رؤوف رحيم**) ويخصص هذه النكتة لتبيان رأفته صلى الله عليه وسلم علــى حفيديــه الحسن والحسين ، والتي يرى النورسي أنها ليست مجرد رأفة فطرية بل هي جــزء مــن مهمته "عليه السلام" النبوية الشاملة. يورد النورسي في ذلك : "إن إظهار الرسول صلى الله عليه وسلم شفقة فائقة وأهمية بالغة للحسن والحسين رضى الله عنهما في صــباهما، ليست هي شفقة فطرية ومحبة نابعة من الإحساس بصلة القربى وحدها ، بل نابعة أيضا من أنهما بداية سلسلة نورانية تتولى مهمة من مهمات النبوة العظيمة، وأن كلا منــهما منشأ جماعة عظيمة من وارثي النبوة ، وممثل عنها وقدوة لها. ويمضى النورسي مشيراً إلى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم للحسن في حضنه وعطفه الجم على الحسين ، فيقول في ذلك:- " إن حمل الرسول صلى الله عليه وسلم الحسن رضى الله عنــه في حضــنه وتقبيله رأسه بكمال الشفقة والرحمة هو لأجل الكثيرين من ورثه النبوة الشبيهين بالمهدى الحاملين الشريعة الغراء المتسلسلة من سلالة الحسن المنحدرين من نسله النورانى المبــارك أمثال الشيخ الكيلانى[18]. فلقد شاهد الرسول ببصيرة النبوة ما يضطلع به هؤلاء الأكارم في المستقبل من مهام مقدسة جليلة ، فاستحسن خدماتهم وقدر أعمالهم . فقبــل رأس

الحسن رضى الله عنه علامة على التقدير والحث. ثم أن الاهتمام العظيم الذي أولاه الرسول الكريم بالحسن وعطفه الشديد نحوه إنما هو للذين يتسلسلون من نسله النوراني من أئمة عظام وارثي النبوة الحقيقيين الشبيهين بالمهدى أمثال زين العابدين وجعفر الصادق. نعم فقد قبل صلى الله عليه وسلم عنق الحسين رضى الله عنه واظهر له بالغ شفقته وكمال اهتمامه لأجل أولئك الذين سيرفعون شأن الإسلام ويؤدون وظيفة الرسالة بعده" .[19]

إن الكتب الإسلامية التي تناولت سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لابد ان تفرد حيزاً للحديث عن رأفته وشفقته، ولابد كذلك من أن تشير إلى الآية التي ذكرها النورسي " ... **رؤوف رحيم** ". فمثلاً نجد أن القاضي عياض في كتابه "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" قد خصص فصلاً لرحمة الرسول صلى الله لجميع خلقه. يقول القاضي عياض في ذلك : "واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه: "عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم" وقال تعالى: "**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ". قال بعضهم من فضله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال (**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**)[20] وعدد القاضي عياض في هذا المقام أمثلة من شفقته صلى الله عليه وسلم . من ذلك تخفيفه وتسهيله على أمته وكراهيته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله عليه الصلاة والسلام: لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء. ومن عظيم شفقته على أمته انه لما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له: بان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما تردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال: مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الاخشبين. قال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعيد الله وحده ولا يشرك به شيئاً [21]. ومن أمثلة رحمته صلى الله عليه وسلم ان السيدة عائشة رضى الله عنه ركبت بعيراً وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليك بالرفق. [22]

كذلك نجد أن الزمخشرى في كتابه (الكشاف) عند تفسيره لآية سورة التوبة "... **رؤوف رحيم**"، يورد قائلاً : قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله "**رؤوف رحيم**".[23]

ايضاً نجد انه لا تذكر رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ويشار لقوله تعالى :- **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ**

الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: 159] . يقول القرطبي في كتابه "الجامع لأحكام القــران" عنــد تفسيره لهذه الآية انه عليه السلام لما رفق بمن تولى يوم أحد و لم يعنفهم بين الرب تعــالى أنه إنما فعل ذلك بتوفيق الله تعالى إياه "لنت" من لان يلين ليناً وليانا بــالفتح. الفــظ الغليظ الجافي. فظظت تفظ فظاظة وفظاظاً فأنت فظ والأنثى فظة والجمع افظــاظ. وفي صفة النبي عليه السلام ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق .

وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه، وقلة الانفعال في الرغائب، وقلــة الإشــفاق والرحمة، ومن ذلك قول الشاعر :-

يبكى علينا ولا نبكى على أحد
لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

ومعنى " لانفضوا " لتفرقوا ، والمعنى: يا محمد لولا رفقك لمنعهم الاحتشام والهيبة من القرب منك بعد ما كان من توليهم .[24]

وابن كثير في تفسيره يربط بين رحمة الرسول صلى الله في ســورة آل عمران وسورة التوبة. يقول في تفسير الآية 159من سورة آل عمران ، قوله تعالى:- **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ)** أي برحمة من الله ، قال الحسن البصري :هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله [25]به ، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}** [التوبة: 128].

الرحمة بالوالدين :-

تحدث النورسي عن الرحمة الواجبة تجاه الوالدين لا سيما عند كبرهما. وقد ظهر في ذلك إلى قوله تعالى: **{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. وَاَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِــنْ الرَّحْمَــةِ وَقُــلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}**. [الإسراء:23-24] يقول في ذلك: "وهكذا فما دام الضعف والعجز اللذان في الشيخوخة يصبحان محورين لجلب الرحمة الإلهية الواسعة، وإن القران الكريم يدعو الأولاد إلى الاحترام والرأفه بالوالدين في خمس مرات، وبأسلوب غايــة في الأعجاز في هاتين الآيتين المتقدمتين، ومادام الإسلام يأمر بتوفير الشيوخ والرحمة بهــم، والفطرة الإنسانية تقضى الاحترام. والرحمة تجاه الشيوخ فلا بد لنا نحن الشيوخ (يقــول متحدثاً عن نفسه) – آلا نستبدل شيخوختنا هذه بمائة عهد من عهود الصبا، ذلك لان فيها أذواقاً معنوية دائمة بدلاً من الذوق المادي الناشئ من نــزوة الشباب ، حيث نأخذ اذواقاً روحية نابعة من الرحمة الصادرة من العناية الإلهية ومن الاحترام النابع من فطــرة الإنسانية.[26]

عند تفسيره للآية السابقة يورد القرطبى قائلاً "واخفض لها جنا ح الذل من الرحمة" هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتدلل لهما تدلل الرعية للأمير والعبيد للسادة " كما أشار إليه سعيد بن المسيب. وضرب خفض الجناح ونصبه مثلاً لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده. والذل هو اللين . ويمضى القرطبى شارحاً هذه الآية فيقول: والخطاب في هذه الآية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته إذ لم يكن له عليه السلام في ذلك الوقت أبوان [27]. ولم يذكر "الذل" في قوله تعالى: {**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ**} [الشعراء: 215] وذكره هنا بحسب عظم الحق وتأكيده . "ومن" في قوله "من الرحمة " لبيان الجنس، أي أن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس ، لا بأن يكون ذلك استعمالاً. ويصح أن يكون لانتهاء الغاية ، ثم أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم ، وان ترحمها كما رحماك وترفق بهما كما رفقاً بك ؛ إذ ولياك صغيراً جاهلاً محتاجاً فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما وجاعا وأشبعاك وتعريا وكسواك، فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر ، فتلى منهما ما وليا منك ، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم. [28]

أما سيد قطب في تفسيره "في ظلال القران" فانه يشير إلى ظلال وإيحاءات هذه الآية قائلاً: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة"، هنا يشف التعبير ويلطف ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان، فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عيناً، ولا يرفض أمراً . وكأنما الذل جناح تخفضه إيذاناً بالسلام والاستسلام. [29]

النساء رائدات الشفقة وبطلات الحنان :-

ربط النورسي الشفقة بالنساء وان شفقة المرآة تقودها للتضحية والفداء من اجل أبنائها. يقول في ذلك : لما كان أهم أساس من أسس رسائل النور هو "الشفقة" وان النساء هن رائدات الشفقة وبطلات الحنان فقد أصبحن أكثر ارتباطاً برسائل النور فطرة. فهذه العلاقة الفطرية يحس بها في كثير من الأماكن ولله الحمد والمنة. ويمضي النورسي قائلاً، ولقد قدت التضحية التي تنطوى عليها الشفقة والحنان ذات أهمية عظمى في زماننا هذا ، إذ أنها تعبر عن إخلاص حقيقي وفداء دون عوض ومقابل. [30]

خاتمة

تناول هذا البحث المعنى اللغوي لكلمتي شفقة ورحمة. وفى ضوء رسائل النور استعرضت الدراسة أنواعاً مختلفة من الرحمة، شملت رحمة الله تعالى على خلقه بل حتى

على الكافر منهم . ثم رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته في حياقم ويوم الحشر ، ثم الرحمة بالوالدين لا سيما عند الكبر واخيراً الشفقة والحنان عند النساء .

لقد جاء ذكر كلمة " الرحمة " ومشتقاقا في آيات كثر. كما أشارت السنة النبوية إلى أهمية الرحمة. وربما قصد النورسي بالتركيز على هذه الخصلة باعتبارها نقود للمحبة والتضحية ومن ثم إقامة مجتمع إنساني فاضل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

– بديع الزمان النورسي : فكره ودعوته ، مجموعة بحوث في مؤتمر تحرير ابراهيم علي العوضى عمان ، جمادى الثانية 1418هـ تشرين اول 1998م

بديع الزمان سعيد النورسي : مجموعة بحوث في مؤتمر عالمى حول تجديد الفكر الإسلامي استانبول ، 1992م

الجامع لأحكام القران: القرطبى ،20 مجلد ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1967م

تفسير القران العظيم : ابن كثير، 4 مجلدات ، الطبعة الرابعة ، لبنان سنة 1983م

– في ظلال القران : سيد قطب ، 8 مجلدات، الطبعة السابعة عشر القاهرة/ بيروت، 1992م

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشرى، 4 مجلدات ، بيروت، الطبعة الاولى ، 1983م .

اللمعات، من كليات رسائل النور: بديع الزمان سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، استانبول، الطبعة الأولى ، 1993م

الشعاعات ، من كليات رسائل النور : بديع الزمان سعيد النورسي ، ترجمة احسان قاسم الصالحى ، مصر ، الطبعة الثانية ، سنة 1993م

الشفا بتعريف حقوق المصطفى جزءان: القاضى أبو الفضل ، عياض اليحصبى ، بيروت ، بدون تاريخ وبدون رقم طبعه

مرشد اهل القران إلى حقائق الإيمان ، من كتاب رسائل النور ، بديع الزمان سعيد النورسي / ترجمة احسان قاسم الصالحى ، الطبعة الأولى 1998م بدون ذكرالطبعة

مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب من كليات رسائل النور بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة – احسان قاسم الصالحى ، الطبعة الأولى، سنة 1997م القاهرة .

الهوامش:

1 د. احمد شكرى شابسوغ، مقال بعنوان "علوم القرآن والتفسير في رسائل النورسي"، من كتاب بديع الزمان النورسي فكرته ودعوته، ص 82
2 د. احمد آق كوندوز ، مقال بعنوان " رسائل النور " مدرسة إيمانية جديدة " من كتاب بديع الزمان سعيد النورسي : في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي ص 190
3 ابن منظور ، لسان العرب ، ج 10 ، ص 179 – 180.
4 ابن منظور لسان العرب ، ج12 ، ص 230
5 ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 231.
6 ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 232.
7 النورسي ، مرشد الشباب في يوم الحساب ، ترجمة ، إحسان قاسم ، ص 191
8 النورسي ، مرشد الشباب ، ص 192 – 193
9 النورسي ، الشعاعات ، ج 4 ، ص 164
10 النورسي ، مرشد الشباب ، ص 195 – 96
11 النورسي ، المصدر نفسه ، ص 196
12 النورسي ، الشعاعات ، ج 4 ص 287
13 النورسي ، المثنوى العربى النورى ، تحقبق إحسان قاسم ص 169
14 النورسي ، المثنوى العربى النورى ، ص 169
15 النورسي ، مرشد الشباب ، ص 208
16 جزء من حديث الشفاعة الطويل – وانظر البخارى ، الصحيح .
17 النورسي ، اللمعات ، ج 3 ، ص 29
18 الشيخ عبد القادر ابن أبو صالح أبو حمد الحنبلي. ولد سنة 470هـ ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبى سعيد المخرمى الحنبلى، كان من سادات المشائخ. من مصنفاته: الغنية وفتوح الغيب والفتح الربانى، توفى وله تسعون سنة، ودفن بالمدرسة التى كانت له سنة 561هـ . ابن كثير، البداية والنهاية ج 12، ص 252حاجى خليفة، كشف الظنون، ص 1211، 1240 ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1 ص 126. الزركلى، الا علام ج 4، ص47
19 النورسي ، اللمعات ج 3 ، ص 30
20 القاضى عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ص 122
21 المصدر نفسه ص 125
22 المصدر نفسه ص 126
23 الزمخشرى، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج 2، ص 223
24 القرطبى ، تفسير ، ج 3 ، ص 248– 49
25 ابن كثير ، تفسير ج 2 ، 139– 40
26 النوْرسي ، اللمعات ، ج 3 ، ص 362
27 القرطبى ، تفسير ، ج 10 ص 243 ، 44
28 القرطبى ، ج 10 ص 243– 44.
29 سيد قطب ، ظلال القران ، ج 2 ، ص 2221– 22
30 النورسي ، اللمعات ، ج 3 ، ص 307